الدرس التاسع

انهيار يهوذا

2ملوك 18–25

مقدمة

ركز القسم السابق من 2ملوك على استمرار انحلال ملوك المملكة الشمالية إلى أن اقتيد إسرائيل في نهاية الأمر إلى السبي على يد أشور عام 722 ق.م. أما نسل داود في الجنوب فكان أفضل حالاً، لكنه بدأ في نهاية الأمر يضعف ويتدهور أيضاً. ورغم أن السنوات الأولى للمملكة الجنوبية اتسمت بوجود عدد من الملوك الذين عملوا "المستقيم في عيني الرب" فإن التاريخ اللاحق من آحاز فصاعداً اتسم بوجود ملوك فعلوا "الشر في عيني الله" (باستثناء حزقيا ويوشيا فقط). ورغم أن أعظم تدهور جاء مع آحاز والذين تبعوه، فقد كانت هنالك *بذار دمار* حتى قبله (خاصة مع زواج يهورام من ابنة آخاب وإيزابيل).

توجد عدة أوجه شبه بين سقوط كل من إسرائيل ويهوذا. ففي كلتا الحالتين حدثت الخطية التي كانت كافية لجلب الدينونة قبل وقت طويل من الدينونة النهائية. فقد جاء قرار الله بالدينونة وإعلانه عن ذلك القرار قبل تنفيذ الدينونة. وكان أخيا وإيليا وسيطي الإعلان الإلهي في الشمال، وإشعياء وسيطه في الجنوب. وقد امتد عمر المملكتين بنعمة الله. وفي وسط الخطايا التي ضمنت دينونة الله ووقوع الدينونة ذاتها حدث في كلتا المملكتين حركة إصلاحية أو تطهيرية. وقد جاءت هذه الحركة في الشمال عن طريق ياهو، بينما تحقق هذا في الجنوب عن طريق إصلاح يوشيا. لكن رغم هذه الإصلاحات، كانت الدينونة النهائية أمراً مؤكداً، ولم يكن ما عملته التوبة والإصلاح سوى تأجيل الدينونة. وفضلاً عن ذلك، فقد تبيّن على الدوام أن الإصلاحات كانت بطريقة أو أخرى ناقصة. فرغم التغيرات الملحوظة التي أتت بها، فقد كانت إلى حد ما سطحية لا شاملة. وهكذا فقد كانت كافية لجلب نجاح وقتي لا دائم.

وكان أكثر الملوك تمادياً في الانجراف وراء الشر آحاز ومنسّى. لكن خلف كلاً منهما ملك صالح حاول أن يعيد توجيه دفّة الأمة نحو يهوه. وهذان الملكان هما حزقيا و يوشيا. ولسوء الحظ فإن هذين الملكين الأمينين لم يدركا تأثير الشر. ويثير هذا الأمر سؤالاً: من هو أو ما هو الذي سيوقف الشر إن لم يستطع ذلك حزقيا ويوشيا؟ إن هذه المعضلة تهيّئ الأمة لحل لا يمكن أن يأتي إلاّ من الله، وهذا الحل هو المسيّا.

قرابة الملوك

قطع التأثير الأجنبي القسم الأخير من الخلافة الملكية، فكان هنالك مثلاً ثلاثة ملوك أخوة. [والاخوة مميزون في الرسم التالي بعلامة نجمة*] .

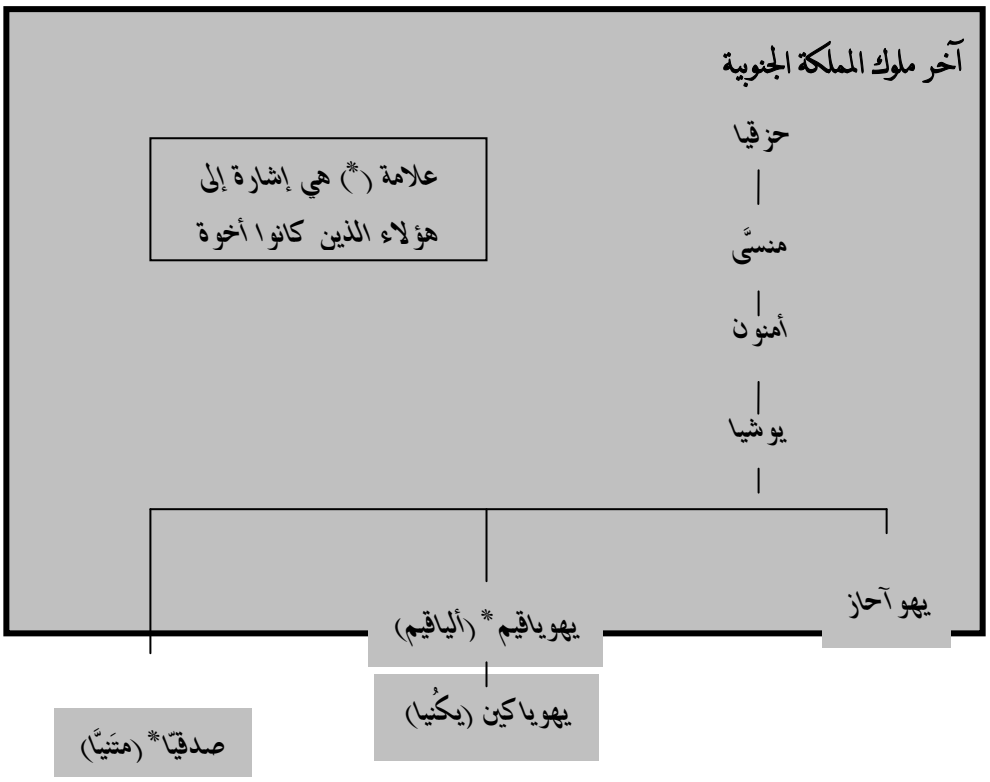

التركيب

يمتلئ معظم الأصحاحات السبعة عشر الأولى بمعلومات تخص إسرائيل. ويبدو أن للمعلومات المتوفرة عن الجنوب (انظر الرسم حول ملوك الثاني) تظهر تأثيراً على تدهور المملكة الجنوبية. أمّا الأصحاحات 18-25 فتتناول يهوذا وحده، ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام رئيسية.

(1) حكم حزقيّا

(2) التمرد الكامل لمنسّى وآمون

(3) إصلاح يوشيّا

(4) التدهور النهائي

إن آخر مرحلة هي حكم أبناء يوشيّا الثلاثة، وهي تتسم بعدم الاستقرار السياسي.

عصيّ التأديب

استخدم الله مع المملكة الجنوبية، كما هو الحال مع المملكة الشمالية، قوى أجنبية لتأديب شعبه على خطاياهم. وهذا مبدأ يتوافق مع خطة تثنية 28–29. فقد أزعجت سورية إسرائيل لسنوات حتى إنها بدأت تخلق مشاكل ليهوذا أثناء حكم آحاز. غير أن ظهور أشور القوية على المسرح الدولي أوقف تهديد سورية ليهوذا. ومن زمن حكم حزقيّا فصاعداً كانت هنالك ثلاث قوى عالمية رئيسية لعبت كل واحدة منها دوراً في تاريخ يهوذا بشكل متعاقب: أشور ومصر وبابل.

أ. أشور

كانت الإمبراطورية الأشورية هي القوة المسيطرة، التي مارست نفوذها على يهوذا من حوالي 740 الى610 ق.م.[1] وتحت حكم شلمنأسر الخامس (727–722) وسرجون (722–705)، تمّ سبي مملكة إسرائيل الشمالية. وقد تحدى أشور حزقيا أثناء فترات كثيرة من حكمه، وغزاه بقيادة سنحاريب (705–681) في 701 ق م. وقد وصلت أشور إلى قمة عظمتها تحت حكم أشور بانيبل (668–627 ق م). لكن بعد موته فقدت أشور تفوّقها، إلى أن انهارت أخيراً مع سقوط نينوى في 612 ق.م.[2] ولقد كان الأشوريون أحد أقسى شعوب كل الحضارات القديمة (انظر الملاحظات على سفر ناحوم).

ب. مصر

[1] انظر Merrill (Kingdom of Priests, 405-420) من أجل أخذ فكرة واضحة عن التهديد الأشوري لإسرائيل ويهوذا

[2] يقول ميريل (438)إن أشور عاش بين 668–627 ق م. اعتماداً على كتاب جوان أوتس ("التاريخ الأشوري مرتباً زمنياً ، 631–612 ق م." العراق 27 ﴿1965﴾: 135–59).

مع سقوط نينوى عام 612 ق.م، تحركت على عجل إمبراطوريتان بارزتان أخريان لكي تحصلا على مركز التفوق وهما مصر وبابل. أصبحت بابل قوة عظيمة في سعيها للتوسع غرباً إلى ما وراء الفرات. غير أن مصر تحركت شمالاً مجتاحة فلسطين وسوريا، وانضمت إلى بقية الأشوريين في محاولة لوقف البابليين عند الفرات. وحدث هذا في كركميش في 609 ق.م. غير أن مصر هُزِمت هزيمة حاسمة قبل عام 605 ق.م على يد نبوخذ نصر في موقعة أخرى في كركميش. وفي الفترة ما بين 609-605 كانت مصر متسلطة على يهوذا. وعزل الفرعون نخو يهوآحاز عن العرش وهو عائد من كركميش. وحشد المصريون جيوشهم ليعودوا ويهزموا بابل في 601ق.م. الأمر الذي أعطى ليهوذا فرصة التمرد على بابل (2ملوك 24:1). غير أن تمرده هذا كان قصير الأجل.

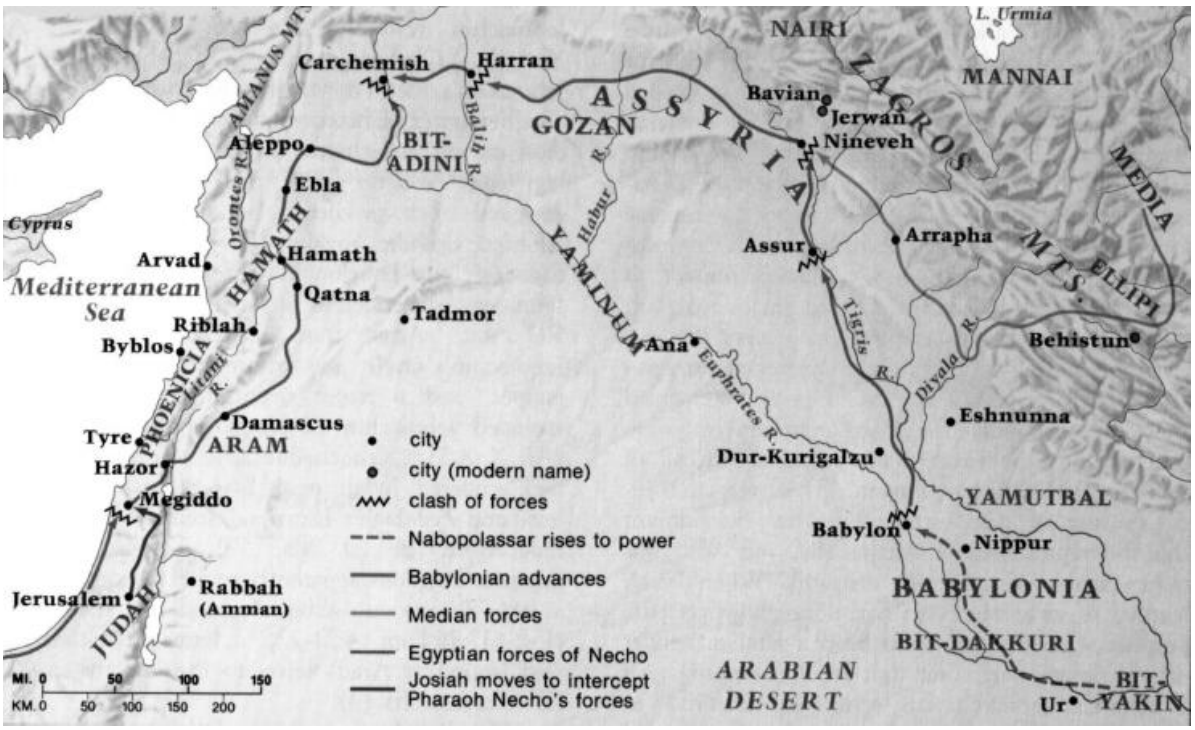

ج. بابل

مع انتصار بابل العظيم الذي أحرزته على مصر في كركميش عام 605ق.م، أصبحت بابل القوة المهيمنة ونبوخذ نصر هو ملكها. وكانت النكسة التي أصابتها على يد مصر في 601ق.م مؤقتة. وقبل 597 كان نبوخذ نصّر قد أعاد جمع قواته وجاء ليهاجم يهوذا ثانية. وأصبحت بابل الآن **عصا تأديب** يهوه التي استخدمها ليسبي يهوذا. وقد هيمنت الإمبراطورية البابلية هيمنة مطلقة من 601إلى 539 عندما أطاح بها الماديون والفارسيون. وقد حدث السلب البابلي ليهوذا عبر عدة مرات من الترحيل أو السبي.

1. 605ق.م – بعد موقعة كركميش سيطر نبوخذ نصر على يهوذا وأرغم يهوياقيم على الاستسلام. وتم سبي جزء من الشعب في هذا الوقت، بمن فيهم دانيال .

2. في 597ق.م تمرد يهوذا، فعاد نبوخذ نصر لمحاصرة المدينة التي سقطت في 15 آذار ،597ق.م. وأُخذ كثير من القادة إلى بابل، بمن فيهم الملك يهوياكين والنبي حزقيال.

3. 586 ق م سمح لصدقيّا بأن يحكم يهوذا، لكنه تمرد في نهاية الأمر فحاصر البابليون أورشليم مدة ثلاثين شهراً، وسقطت المدينة في 18 تموز 586 ق م. فكان هذا أعظم دمار تتعرض له أورشليم، إذ دُمّر هيكل سليمان تدميراً كاملاً وتم هدم المدينة. وبعد ذلك تم ترحيل عدد كبير من الشعب إلى بابل، كما تم قتل أولاد الملك صدقيّا، وتعرض صدقيّا نفسه للإذلال، فقد قلع البابليون عينيه وأوثقوه بقيود نحاسية وساقوه إلى بابل (2 ملوك 7:25). ولم يُسمح إلّا لمجموعة صغيرة من الشعب بالبقاء في يهوذا، وكانوا يضمون بشكل رئيسي عامة الناس أو غير الأشراف (فبقي إرميا). وفي غضون عدة أشهر فقط، اغتيل الحاكم الألعوبة في يد بابل، وهربت مجموعة يهودية متمردة إلى مصر خوفاً من الكلدانيين آخذين معهم إرميا (في أواخر عام 586 على الأرجح).

4. 582 ق م – أمر نبوخذ نصر بترحيل آخر لليهود إلى بابل.

يهوذا قبل حزقيّا

حدثت تطورات عديدة أثناء هذه الفترة وضعت أساساً لارتداد المملكة الجنوبية عن الله. وجاء أول حدث هام مع يهورام ملك يهوذا الذي لم يفعل الشر فحسب بل تزوج أيضاً من عثليا بنت آخاب وإيزابل. وكانت هذه أيضاً غلطة يهوشافاط، أبيه، الذي صنع حلفاً مع آخاب. ونتيجة لهذا، تزوج يهورام ابنة إيزابل التي سيطرت عليه كما سيطرت إيزابل على آخاب. وكان زواج آخاب من إيزابل هو الذي أدخل عبادة البعل التي استحوذت على إسرائيل. وها قد سُمح الآن لابنة إيزابل (التي كانت متحمسة جداً لعبادة البعل) بإدخال تأثيرها

الشيطاني إلى المملكة الجنوبية (2 ملوك 18:8–19). فبينما كان ياهو يطهّر إسرائيل من عبادة البعل في الشمال، كانت عثليا تروج لهذه العبادة في الجنوب.

والحدث التالي الهامّ هو محاولة عثليا القضاء على نسل داود (2 ملوك 1:11–3). وقد نجا الطفل يوآش (بفضل سيادة الله)، سامحاً بهذا باستمرار نسل داود (2صموئيل 7) ليكون قناة للمسيّا (جاء يسوع من خلال يوآش: انظر متى 1). وقاد الكاهن يهويا داع المقاومة ضد عثليا كما قاد إصلاحاً ساعد يهوذا على استعادة توازنهم الروحي.

"وقطع يهويا داع عهداً بين الرب وبين (الملك والشعب ليكونوا شعباً للرب، وبين الملك والشعب" (17:11).

غير أن علامات الضعف ظلت تلاحق يهوذا. وأثناء حكم أمصيا (796–767) هزم إسرائيل الآثم يهوذا، واغتيل أمصيا في ما بعد. وضرب الرب الملك عزيّا بالبرص (5:15). وأثناء حكم يوثام (750–731)، ابتليت الأمّة بهجمات من قوى أجنبية (وهي علامة على فشلها–تثنية 28!):

"في تلك الأيام ابتدأ الرب يرسل على يهوذا رصين ملك أرام وفقح بن رمليا." (37:15).

وحدث تدهور كبير مع آحاز (735–715)، إذ "لم يعمل المستقيم في عيني الرب إلهه" (2:16). وتضمن ارتداده الروحي (المذكور في 2:16–6) أنه أجاز ابنه في النار، وقدَّم الذبائح وحرق البخور على المرتفعات، وسار في طريق ملوك إسرائيل. كما غيّر الهيكل وبنى مذبحاً جديداً على غرار مذبح مبني في دمشق. وكان هذا كله دون إذن إلهي. ولكي يخفف عنه مشاكله مع سوريا طلب مساعدة أشور (بدلاً من طلب الرب). حتى أنه صرح لأشور، "أنا عبدك وابنك" (7:16) معطياً أشور سيادة مطلقة في شروط المعاهدة. وهذا يعني أنه رفض أن يكون ليهوه السيادة والسلطان على الأمة. فكان يخرج نفسه بشكل علني وبتحدٍ من تحت سلطان العهد مع يهوه.

حكم حزقيّا (729–686 ق.م.):

حزقيّا هو ابن آحاز، وكان اعتلاؤه العرش تغييراً مرحّباً به. كان حكمه مجيداً، على عكس حكم آحاز. والكتاب المقدس يمتدحه أكثر من أي ملك آخر:

"على الرب إله إسرائيل اتكل؛ وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ولا في الذين كانوا قبله. والتصق بالرب ولم يحد عنه، بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى" (18:5–6).

تصف (18:1–12) حكم حزقيا. أمّا بقية قصته فتتناول مشاكله مع أشور وإطالة الله لعمره. ويعتقد ويتكومب أن هنالك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن مرضه وإطالة عمره (الأصحاح 20) حدث قبل التهديد الأشوري (18:13–37:19)[3]. وربما قادته طاعته وحكمه

[3] John Whitcomb, Solomon to the Exile, 125.

الناجح إلى حالة من الكبرياء كما تشير 2 أخبار 32:25–26 على ما يبدو. ويمكن أن يكون كبرياء قلبه سبب الاجتياح الأشوري بقيادة سنحاريب.

كتب سفر إشعياءعلى خلفية الاجتياح الأشوري. وامتدت نبوءاته من 739–686 ق م تقريباً. ولسفر إشعياءثلاثة أجزاء:

1. الجزء الأول (الأصحاحات 1–35)– يتنبأ إشعياء بالإطاحة بالمملكة الشمالية وبتعرّض الجنوب للهجوم. غير أنه يؤكد أن الأشوريين لن يستولوا على أورشليم أبداً. وهو يشبّه القوات الأشورية بمياه فيضان (كما من الفرات) يندلق على الضفتين. وهي تحاصر منطقة الهلال الخصيب كلها. ويشبّه يهوذا برجل ينزعج بشكل متزايد من مياه الفيضان هذه. وتصل هذه المياه إلى الأنف، لكن الرأس يبقى فوق الماء (إشعياء8). والهدف من هذا التشبيه هو القول إن الجيش الأشوري ربما يجتاح الهلال الخصيب كله، لكن توجد نقطة واحدة على الخارطة لا يمكنه أن يستولي عليها، ألا وهي أورشليم. وقد عُثر على منشور خزفي مسدس الأضلاع يحتوي على حوليّات سنحاريب تضم النقش التالي:

"أغلقت على حزقيّا ملك يهوذا كعصفور محبوس في قفص داخل مدينة أورشليم، عاصمته."[4]

لكن هذا هو كل ما سمح الله لسنحاريب بأن يفعله. فلم يكن في استطاعته أن يستولي عليها. وهكذا يتنبأ إشعياء بتأديب أشور ليهوذا، لكنه يطمئنهم بهذا الرجاء: لن تسقط أورشليم.

2. القسم الثاني (الأصحاحات 36–39)– وهذا فاصل تاريخي يتركز على حكم حزقيّا. وفي 36–37، يصف إشعياء الاجتياح الأشوري، بينما يتنبأ في 38–39 بالسبي البابلي ليهوذا.

3. القسم الثالث (الأصحاحات 40–66)– يخاطب المسبيين في بابل بكلمة تعزية لشعب السبي القادم. إذ سينقذ الله بقية إسرائيل، ويجمعُهم، ويباركهم كثيراً في نهاية المطاف.

يتناول الأصحاح الأخير الذي يتحدث عن حزقيا (2 ملوك 20) مرض حزقيّا وإطالة عمره. ويبدو أن مرضه هذا كان سببه ارتفاع قلبه بالكبرياء (2 أخبار 32:25–26). وتسفر صلاة حزقيّا (2:20–3) عن تحنّن يهوه عليه وإطالة عمره 15 عاماً أخرى. غير أن إطالة العمر هذه تسمح بوضع يتعرض فيه حزقيّا للاختبار لدى زيارة دبلوماسيين من مملكة بابل الصاعدة:

"وهكذا في أمر تراجم رؤساء بابل الذين أرسلوا إليه ليسألوا عن الأعجوبة التي كانت في الأرض، تركة الله ليجرّبه ليعلم كلّ ما في قلبه" (2 أخبار 32:31).

[4] المرجع السابق، 122.

ويعلّق ويتكومب على هذا الحدث تعليقاً ثاقب النظر:

ما الذي كشفه هذا الامتحان؟ كشف أن رغبة قلبه هي أن يقنع هؤلاء الرجال أنه لم يكن ملكاً من الدرجة الثانية حسب مقاييس العالم. وهكذا فبدلاً من أن يتعلموا عن فرادة يهوه وقداسته وضرورة الاعتراف به وحده، لم يحملوا معهم إلى بابل شيئاً إلاّ معرفة بالذهب والفضة والطيوب والزيت الطيب وكل كنوزه المادية (2 ملوك 13:20).[5]

وكان رد فعل إشعياء على افتخار حزقيّا الأحمق هذا أنه تنبأ بأن كل هذه الكنوز ستُحمل إلى بابل (17:20).

تمرد مطلق:

لا يستطيع المرء أن يتصور أن مثل هذا الابن الشرير يمكن أن يأتي من مثل هذا الأب الصالح. لكن بينما كان حزقيّا يُعدُّ واحداً من الملوك العظام، ربما كان منسّى أكثرهم شراً وتمرداً. وقد ضمنت نتائج حكمه (بالإضافة إلى ابنه آمون) القضاء على المملكة. غير أنه كانت هناك مرحلتان في حُكمه.

أ. أرجاس منسّى (686–42/643 ق.م.):

إن فظائع حكمه موصوفة جيداً في 2 ملوك 21:1–9 و2 أخبار 33:2–9. إنه أسوأ الملوك. وليست المسألة أنه منحل أخلاقياً فحسب، لكنه يلغي عبادة يهوه ويستبدلها بكل ممارسة وثنية مقيتة. ويتضمن هذا عبادة البعل في الهيكل بل وحتى عبادة شيطانية صريحة:

"وبنى في بيت الرب الذي قال عنه: 'في أورشليم أضع اسمي'. وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب. وعبّر ابنه في النار، وعاف وتفاءل واستخدم جاناً وتوابع، وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته" (2 ملوك 21:4–6).

كان يفعل شراً أكثر من كل الكنعانيين الذين طردهم يهوه، منجساً هيكل يهوه بشكل كامل! والشيء المذهل هو أن الرب يسمح لحكمه بالاستمرار حوالي نصف قرن كانت كلمة الله منسيّة أثناء هذه الفترة. وفضلاً عن ذلك فقد اضطهد وقتل البقية المؤمنة (16:21)، حتى إن العبادة الحقيقية ليهوه اختفت تقريباً من المملكة. وقد تجاوب الشعب مع منسّى (2 أخبار 33:9). وقد أدى هذا بالإضافة إلى فظائعه الأخرى إلى إصدار يهوه مرسوماً لا رجعة عنه أن يهوذا لا بدّ أن يُسبى من الأرض (قارن 2 ملوك 23:26–27 وإرميا 7: 16).

[5] المرجع السابق، (13).

لكن الله يؤدبهم أثناء هذه الفترة (682–642ق م) . ويصبح يهوذا مُقْطَعاً تابعاً للملك الأشوري آسرحدون (681–669) وأشور بانيبال (668–627) . وتحت حكم هذين الملكين وصلت أشور إلى ذروة قوتها . لكن الله يقيم أثناء هذه الفترة نبياً اسمه ناحوم. وهو يكتب نبوته حوالي 654 (حسب رأي والتر مايير) حين كان وأشور بانيبال في ذروة حكمه.[6] ورغم أن كل شيء يبدو يائساً تحت قبضة أشور القوية، إلاَّ أن ناحوم يأتي برسالة عظيمة: "ستسقط نينوى!" وكان أكثر مسألة تهم ناحوم هي أن قداسة الله هي التي على المحك في استبداد أشور، لكن الله مسيطر على الوضع. ورغم أن الأشوريين شعب مرعب وقاسٍ لكن الله سيطيح بمملكتهم.

ب. توبة منسّى

إن ما يذهلنا في منسّى أنه يختبر نوعاً من الاهتداء أو التجديد نحو نهاية حياته. فقد أخذه أشور بانيبال أسيراً لفترة معينة وأرسله إلى بابل حيث كان في مذلّة كثيرة (2 أخبار 33:10–17) . وفي يأسه يتواضع ويدعو الرب، وتوبته حقيقية على ما يبدو، إذ يعيده الله إلى أورشليم. ومن تلك اللحظة صار إنساناً مختلفاً: "فعلم منسّى أن الرب هو الله" (2 أخبار 33:13) . حتى أنه بدأ يصلح المملكة على الرغم من أنه لقي نجاحاً قليلاً، لأن الأذى الذي كان قد ألحقه كان أخطر من أن يصلحه بنفسه. وفضلاً عن ذلك، فإن ابنه آمون الذي خلفه سار في طرقه الشريرة أيضاً .

إصلاحات يوشيّا (641/40–609 ق.م.)

2ملوك 22:1–23:30

يوشيا هو البقعة المضيئة الأخرى في تاريخ يهوذا . في622 ق.م عُثر على سفر الشريعة في بيت الرب، وعندما قُرئ على مسامع يوشيّا أطلق إصلاحاً كبيراً في الأمة. وفي واقع الأمر أدّى هذا الاكتشاف إلى تسريع الإصلاح الذي سبق أن بدأه (قارن 2 أخبار 34) .

في السنة الثامنة (632)– بدأ يوشيّا يطلب الرب (2 أخبار 34:3) .

في السنة الثانية عشرة (628)– بدأ تطهيراً في يهوذا وأورشليم (2 أخبار 34:3)

في السنة الثالثة عشرة (627)– بدأ إرميا النبي نبوءاته (إرميا 1:2) .

في السنة الثامنة عشرة (622)– عُثر على سفر الشريعة وأجريت إصلاحات كبيرة (2 ملوك 22) .

---

6 Walter A. Maier, *The Book of Nahum* (Saint Louis, MO: Concordia Pub. House, 1959); reprint, Minneapolis, MN: James Family, 1977), 36 .

لما اعتلى يوشيّا العرش في 640 ق م، كان يعرف عن نبوءة ناحوم حول سقوط أشور. فكان هذا دعماً لاهوتياً له مؤكداً له أنه لا داعي للخوف من أشور. وفضلاً عن ذلك، يبرز صفنيا في هذه الفترة، ربما بين 640 و632 [7]. وربما يكون الإصلاح المبكر أثناء حكم يوشيّا راجعاً لكرازة صفنيا. وكانت رسالة صفنيا في روحها هي:

رغم أن الله يبدو مختبئاً، فإن الله هو الذي يحرك التاريخ بشكل سيادي. وإذا تبتم، فستختبرون بركات الله عليكم.

وهكذا حصل يوشيّا على دعم ناحوم اللاهوتي وعلى رسالة صفنيا التي شجعته على التحرك نحو الإصلاح.

وكان إرميا أيضاً نبياً في زمن يوشيّا، وجاءت نبوءاته الأولية قبل الإصلاح الكبير عام 622 ق م. وكانت رسالة إرميا في روحها هي:

ارجعوا إلى موسى من حيث جئتم وأطيعوا الرب. ارجعوا للكتاب المقدس!

وهذا هو ما يفعله يوشيّا. وهكذا كان صفنيا مسؤولاً عن الإصلاح التالي، وهذا هو الذي يعيد الشعب إلى عهدهم مع يهوه.

آثار حركة الإصلاح

أ. غياب التوبة الحقيقية

على المستوى الرسمي، عادت الأمة بالفعل إلى اليهويّه (عبادة يهوه). لكن يبدو أنه كانت هنالك نقطة تشعب بين ديانة الدولة والديانة الرائدة. إذ يبدو أن العامة لم تعد عودة حقيقية قط إلى عبادة يهوه. ولم يُشفوا قط من الخطايا التي أغواهم منسّى على ارتكابها. يقول والكي:

"من ناحية خارجية ورسمية طهرت حركة الإصلاح الأرض؛ إذ عادت اليهويّه مرة أخرى ديانة الدولة. أمّا داخلياً وفردياً فإن الإصلاح لم يطهّر عامة الناس؛ امتثلوا للعهد لكن ليس من قلوبهم... كان ملكوت الله يحتاج إلى عهد جديد عهد تنبع فيه الطاعة للشريعة من القلب."[8]

كان الوضع خطراً، إذ كان ينادي بديانة مظاهر خارجية محضة. كانت الدولة تعمل وفق التوراة. أمّا داخلياً، فكان الشعب بشكل عام يفتقرون إلى القلب السليم تجاه الرب. ويصرخ إرميا معبراً عن هذا الوضع:

"وفي كل هذا أيضاً لم ترجع إليّ أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها، بل بالكذب، يقول الرب." (إرميا 10:3 ؛ قارن 16:6–20).

[7] تدل حقيقة عدم ذكره لأي إصلاح، مع دعوته إلى إحداث إصلاح، على أنه ربما كتب سفره قبل حدوث أي إصلاح.

[8] بروس ك. والكي (Bruce K. Waltke)، ملاحظات صفية، كلية دالاس للاهوت.

ب. التدهور النهائي

(2 ملوك 23:31-25:30)

عندما مات يوشيّا في تموز 609 ق م. تُركت الأمّة لأولاده الذين حكم ثلاثة منهم أثناء السنوات الأخيرة للمملكة، وهم يهوآحاز ويهوياقيم وصدقيا. وكان هنالك ملك آخر أيضاً اسمه يهوياكين، وهو ابن يهوياقيم. وقد فعل أربعتهم الشر وعانوا تحت الاضطهاد الأجنبي.

1. يهوآحاز- عزله الفرعون نخو عن العرش في 609 ق م. ومصر تتسلط على يهوذا من 609-605 ق م.
2. يهوياقيم – رضي بأن يكون تابعاً لبابل، لكنه تمرد بعد ثلاث سنوات رغم تحذيرات إرميا (إرميا 27:4-11). وعلى الأرجح أن هذا كان الوقت الذي احتشد فيها المصريون ليردّوا على بابل بهزيمة مفاجئة في 601 ق م. ابتلي حكمه بعدة قوى أجنبية تمهيداً لدينونة مدمرة كاملة يرسلها الرب. وتشهد 2 ملوك 24:3-4 أن خطايا منسّى واضطهاده للمؤمنين الأمناء الأبرياء كانت الأسباب المباشرة التي دعت الله إلى تسليم يهوذا إلى هذه القوى الأجنبية. أمّا حادث تدخّل الرب وضربه للأشوريين بشكل خارق (2 ملوك 19:35-37) فيجب أن ينظر إليه بالمقابلة مع ذلك كله. فتلك الحادثة شهادة على أنه كان في مقدور يهوه أن يدافع عن نفسه ضد أعظم القوات على الأرض بما في ذلك بابل ومصر. فلم تتمكن هذه القوات من سحق يهوذا إلّا لأن الله قضى لها بأن تؤدّب شعبه، لا لأن القوى الأجنبية كانت متفوقة عسكرياً.
3. يهوياكين- كان الملك الحاكم عندما غزا نبوخذ نصر القدس في 15 آذار 597 ق م، ورحّل حوالي عشرة آلاف شخص إلى بابل (بمن فيهم حزقيال الذي تنبأ من 590-574 في بابل). كما يشار إلى يهوياكين. باسم كنياهو (انظر أرميا 22:24).
4. صدقيّا- سمح له نبوخذ نصر بأن يحكم يهوذا، لكن بعد تمرده سحق البابليون أورشليم والهيكل في 18 تموز 586 ق م.

ج. نسل داود

تحتوي الفقرة الأخيرة من سفر ملوك الثاني ملاحظة أنه أُطلِق سراح يهوياكين. (الذي سُبي إلى بابل عام 597 ق م) من السجن عام 560 ق م، وعومل بلطف في بلاط ملك بابل. وليست هذه طريقة تخلو من الدلالة لختم السفر. فهذا يعكس أمانة الله وكرمه في حفظ نسل داود تمشيّاً مع عهده (2 صموئيل 7) إعداداً لمجيء المسيّا الذي سيؤسس الملكوت الأبدي.[9]

[9] زربابل، حاكم يهوذا بعد العودة من السبي، هو حفيد يهوياكين (أمّا من خلال شألتئيل أو فدايا؛ انظر 1 أخبار 19:3). وحسب إرميا 22:28-30، فقد وُضع يهوياكين تحت لعنة لأنه لن يكون لأبنائه شرف التربع على عرش داود *كملك*. ورغم أنه يوجد لدينا شخص يقوم بوظيفة "حاكم" من نسل داود بعد السبي (مثلاً زربابل) فإنه لا يوجد لدينا من يحكم بالفعل *كملك* حتى مجيء يسوع المسيح.

ولا شك أن سفر الملوك قد أثبت أن قدرة إسرائيل على تأسيس الملكوت تحت ملك أرضي معدومة!

درس لحياتنا

لم يكن هنالك شخص أكثر فساداً من منسّى، لكن نعمة الله وصلت إليه (2 أخبار 33:12-13).